الأستاذة: د. أمينة أونيس
كلية الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي
السنة الدراسية: 2023/2022.
السداسي الأوّل

المادة: مدخل إلى الأدب المقارن (محاضرة)
الاختصاص: دراسات أدبية
السنة: الثانية ليسانس.
الأفواج: 01 + 02 + 03 + 04.

محاضرة رقم: 01

المفهوم والنشأة والتطوّر (1)

تاريخ وجذور:

"في كل أدب، حاجة دورية للتلفت نحو الخارج" (غوته).

لأنّ العصر الرومنطيقي، في فرنسا، هو الأكثر إلحاحاً لهذه الحاجة، كان هو الذي شهد ولادة الأدب المقارن. وكان البدء مع سانت بوف الذي تبناها من جان جاك أمبير الذي وضع دروساً لتلامذته تحت عنوان "تاريخ الآداب المقارن".

وكان الأدب المقارن، يومها، يبدو، في بداياته، وعياً للكوزموبوليتية* الأدبية، مع توق إلى دراسة هذه الأخيرة تاريخياً.[1]

العصور الوسطى الغربية، الموحدة بالإيمان المسيحي واللّغة اللاتينية، هي كوزموبولتية، وثمة تيار إنساني واحد يجمع الأدباء الأوربيين في عصر النهضة (بداية القرن السادس عشر الأوروبي)، والقرن الثامن عشر هو عصر الفلسفة وأروبا الفرنسية. هذه الحقبات الثلاث الكوزموبولتية، هي، دون تساو، حقبات وحدة لغوية، أو هي تبرز هيمنة لغة مفهومة أينما كان، وحببة، فمع الرومنطيقية، وللمرة الأولى، تتصادف ثبوتية الأصالة الوطنية، مع حجم العلاقات بين مختلف الآداب. من هنا نفهم كيف فيللمان، وأمبير و كينية، الكوزموبولتيون الكبار، هم أيضا أوائل المقارنين، إنما تلزمهم طريقة عمل. فهم سافروا وتحمسوا وحاضروا وقارنوا، لكنهم في الواقع قابلوا وزاوجوا معلومات من مختلف الآداب أكثر مما كتبوا تاريخها المقارن. وما إلا في نهاية القرن، حتى نشأ الأدب المقارن الذي أعلنوه و تصوروه، تيارا مستقلاً ومنتظماً.

---

* في المصطلح: الكلمة، في اليونانية، من cocmos أي الكون، نظاماً جيد الترتيب، و politis مواطن، وتدل على المذاهب الفلسفية والأخلاقية والسياسية وسواها.
في المعنى العام هو مذهب يعتنقه من يتجاوز نطاق الأمة والشعب والقوم، ويدعو إلى المواطنة العالمية.

1- ماريوس فرنسوا غويار، الأدب المقارن، تر: هنري زغيب، بيروت – لبنان، ط2، 1988، ص:11.

منذ 1871، حملت دروس دانوا جورج براندس طابع الفكر المقارن، فإنّ هـ.بوسنيت، في كتابه النظري "الأدب المقارن" (1886) يدشن رسميا "المقارنة الأدبية" وفي العام نفسه، بدا ادوارد رود في جنيف يعطي دروسه في تاريخ الآداب المقارن. وفي 1886 أيضا، أصدر ماكس كوش في ألمانيا "مجلة الأدب المقارن"

وإلى الوعي الرومنطيقي للكوزموبولتية، يضاف العزم على استخدام الطريقة التاريخية التي أثبتت خصبها، من هذا ولد الأدب المقارن، وقد يكون من المسئم تتبع نشأته عاما عاماً في كل بلد لهذا سنكتفي بتعداد بعض التواريخ وبعض العناوين.

عام 1895 دافع جوزف تكست عن أطروحة في موضوع "جان جاك روسو وجذور الكوزموبولتية الأدبية" كانت في فرنسا أول دراسة في المقارنة العلمية، وبين 1897 و1904، تتالت مختلف طبعات كتب بيتز وبالدنشبرغر البيبليوغرافية، التي بيّنت طبيعتها الأخيرة، بعناوينها الستة الآلاف، إلى أي مدى كان وصل انطلاق الأدب المقارن، ومدى نصف قرن بعد ذلك، كان لبالدنشبرغر تأثيرا مباشرا على عدّة دراسات مقارنة، وقد أسس رفقة بول هازار عام 1921 "مجلة الأدب المقارن" في الفرنسية وأشرف على السلسلة التي انبثقت منها المجلة.

بين الحربين العالميتين، تركز الأدب المقارن في فرنسا، والأهمية الممنوحة اليوم في ألمانيا من العالم كورت وايس، والقيمة المطروحة من التدريس والأبحاث في الولايات المتحدة، واللفتة الجدية من الاتحاد السوفياتي وأوروبا الشرقية، ونشاط المقارنين اليابانيين، جميعها مؤشرات تدل على الطابع الدولي للأدب المقارن.

في فرنسا، لدى أكثر الجامعات، مركز تدريس للأدب المقارن، ومنذ 1960، عقدت أهمية كبرى للمقارنة الأدبية، وعام 1966، قامت نهضة إصلاحية في التعليم العالي، عقدت لـ "التاريخ الأدبي العام" أهمية عنصر أساسي لدراسة الآداب الحديثة، وتطور الدراسات منذ 1968، أبرز، أكثر، دور الثقافة المتعددة للآداب. وما كان قبلا، وقفاً على بضع عشرات من الباحثين وبضع مئات من الطلاب المتخصصين، صار ميدانا يدخله سنويا آلاف المستطلعين.[2]

2- ينظر: المرجع السابق، ص:12-13-14.